الماء والهواء ثم تجمَّعت موادها وتكونت منها صخور أخرى فحيث تجمعت المواد الخفيفة الوزن الكبيرة الحجم زاد بها حجم الارض وعلا سطحها وحيث تجمعت المواد الثقيلة الكثيفة تسطحت الارض او تقعَّرت وتكونت فيها اغوار البحار

واذا صحَّ ذلك كلهُ تجلى منهُ لماذا نجد متوسط ارتفاع سهول البر أكثر من متوسط ارتفاع غور البحر بنحو ثلاثة اميال ولماذا تقلُّ المواد تحت البر وتزيد تحت البحر وتقل تحت الجبال وتزيد تحت السهول . وعلمنا بهذا ما يرى من التناقضات في خيط الميزان وجاذبية الارض والظواهر المغنطيسية . وقد قيل ان تكوُّن سطح الارض على هذه الكيفية يقتضي زماناً اطول من الزمان الذي طلبهُ داروين . اما انا فلست من هذا الراي وعندي ان العلماء الطبيعيين اقرب الى الحقيقة من العلماء البيولوجيين والجيولوجيين في ما يتعلق بالزمن الجيولوجي

الاسكندر ذو القرنين

٣

ختمنا الفصل الثاني من هذه الفصول بوصف مملكة الفرس وما كان فيها من حسن الانتظام الذي حفظها من الانحلال الى ان تولاها داريوس الثالث الذي كان في عهد الاسكندر المكدوني واشرنا قبل ذلك الى ما فعلهُ هذا الملك من إثارة اليونان على الاسكندر واغرائهم بالمال على محاربته . فلما تمهَّدت بلاد اليونان للاسكندر حوَّل نظرهُ الى المشرق الى عدوه الالد الذي اغرى اليونان بشق عصا الطاعة لهُ . والى ممالكه الواسعة الارجاء الكثيرة الخيرات . وكانت ممالك الفرس اوسع من مملكة الاسكندر خمسين ضعفاً . وسكانها أكثر من سكان مملكتهِ خمسة وعشرين ضعفاً ولم تكن سفنهُ تقاس بسفن الفينيقيين وهي في يد الفرس في بحر اجيا وكان عند اليونان سفن كثيرة في مرافىء ايونيا لكن السياسة كانت تقضي عليهِ باتقائها في مكانها فرأى ان لا بدَّ لهُ من مناهضة الفرس براً حتى لا يبقى لسفنهم اماكن في البر تلجأ اليها وتعتمد عليها فاختار من رجاله خمسة آلاف فارس وثلاثين الف راجل وقام بهم في فصل الربيع سنة ٣٣٤ قبل المسيح وعبر بلاد تراقيا واخذ من رجالها ١٥٠٠ فارس ونحو ٦٠٠٠ راجل لا غير على انهُ كان يستطيع ان يجمع منها جيشاً جرَّاراً . ولم يكن معهُ الاَّ زاد شهر وسبعون وزنة من الفضة او نحو ١٦٠٠ جنيه ويقال انهُ اضطرَّ ان يستدين اموالاً طائلة لتعبئة هذا الجيش كأن رجال الاموال كانوا من ذلك العهد يدينون الملوك ليتقاضوا

الذين منهم مع الزمن بعد فوزهم كما يفعلون في هذا العصر . وانقطع الامراء المخالفين لهُ اقطاعات كثيرة لكي يقوموا منها بنفقات جنودهم حتى لم يبقِ لنفسهِ شيئاً. وسألهُ احد قوادهِ قائلاً ما ابقيت لنفسك بعد هذه الهبات فاجاب "ابقيت الامل" فقال القائد هذا ليس لك وحدك بل لجنودك ايضاً ثم ردَّ عليهِ اقطاعاً كان قد اقطعهُ اياهُ

وقد يُظن لاول وهلة ان الاسكندر سار في هذه الحملة سير الغزاة الاقاقين الذين يعتمدون على الفُرَص اكثر مما يعتمدون على التقدير والتدبير . لكنهُ كان على الضد من ذلك فانهُ ضرب اخماسهُ لاسداسهِ قبل الحملة وقدَّرها لتقدير الخبير وكان يعلم ضعف مملكة الفرس وانها محفوظة بقوة الاستمرار لا بقوة حية فيها ولم يرعهُ اجمام اليونان عنهُ ولا انتظام مسترزقتهم تحت لواء اعدائهِ ولا كون اكثر رجالهِ ممَّن يطلق عليهم اليونان اسم البرابرة لانهُ كان يعرفهم ويعرف انهم من اكثر الجنود انتظاماً واشدهم شجاعةً . وكان تاريخ زينوفون وما فعلهُ العشرة الآلاف من اليونان في بلاد الفرس مسطوراً امام عينيهِ فقال ان ما فعلهُ اولئك البواسل لا يتعذَّر عليَّ ان افعل اضعافهُ

وكان الفرس قد عرفوا مقدرة اليونان على الحرب والجلاد فاغروهم بالمال على الانتظام في جيوشهم وهؤلاء هم المسترزقة الذين شاع ذكرهم في كل العصور وكان على الاسكندر ان ينازل ثلاثين الفاً منهم في اسوس كما سيجيء . وكان الجندي من المسترزقة يبتاع السلحفة التي يحارب بها ويخدم من يستخدمهُ باجرة يتقاضاها منهُ ومنهم من الغنائم . فاتخذ بعض اليونانيين الحرب حرفةً يحترفونها او رزقاً يرتزقون بهِ ولعلَّ ذلك سبب تسميتهم بالمسترزقة ولم يكن اهل وطنهم يلومونهم على ذلك كما انهم لا يلومون البنَّاء والنجار اذا هاجرا بلادهما وبنيا البيوت في بلاد اعدائهما

وابقى الاسكندر في بلادهِ ١٥٠٠ فارس و ١٢٠٠٠ راجل لحمايتها وناب عنهُ فيها القائد انتيباتر وكان من المشهورين بالنزاهة والزهد حتى ان فيلبس كان يقول اذا اراد الكر حسبنا ان انتيباتر لا يسكر ابداً . ويقال ان فيلبس كان يلعب مرةً بالنرد هو وبعض خواصهِ وقيل لهُ ان انتيباتر بالباب فوقف لايدري ماذا يفعل لانهُ كان يخشى ان يراهُ انتيباتر لاعباً ثم الحق رقعة النرد تحت سريرهِ واذن لهُ في الدخول

وسار الاسكندر في طريق الساحل قاصداً ان يقطع الدردنيل في اضيق مكان منهُ حيث كانت عرضهُ ٤٤٠٠ قدم ثم ترك جنودهُ لتقطعهُ من هناك وتقدم هو شمالاً مع شرذمة منهم ليقطعهُ من مكان آخر حيث رست مراكب ممنون على ما هو مذكور في حرب تروادة . ولما وصل الى هناك اظهر الاكرام للابطال الذين قتلوا في تلك الحرب وقدم الذبائح وقرَّب

الفرابين وطلب من الآلهة ان تأخذ بيده وتعينه على اعدائه . ثم نزل في سفينة وسار بها الى ان بلغ الضفة المقابلة فرفعها برج كان في يده ووثب الى البر وكان اول من وصل اليه واقام مذابح للشتري واثينا وهرقل من معبودات اليونان ومضى الى المكان الذي كانت فيه بروادة وضحى الضحايا في هيكل الالهة اثينا وفعل غير ذلك من الافعال التي تدل على شدة تدينه او على انه كان من الذين يرون التديّن ركناً من اركان السياسة

ولم يكن جنوده كلهم من المكدونيين بل كان فيهم ٥٠٠٠ من المستزرقة و٧٠٠٠ من الحلفاء و١٥٠٠ من فرسان ثساليا ولكن اكثر اعتماده كان على فرسان المكدونيين وكانوا بالخوذ والدروع والجراميق ومع كل منهم سيف مستقيم ذو حدين لا يزيد طوله على قدمين ورمح قصير طوله نحو مترين اما المشاة فكان منهم الفالنكس (فالانكس) وهم جنود مسلحة برماح طويلة طول الرمح منها نحو ٦ امتار يقبض عليه الجندي بيساره فرق زجه بنحو متر وثلث ويشرعه افقياً ويكون في الفيلق ثمانية صفوف من الجنود الواحد وراء الآخر فاذا اشرعوا رماحهم على هذه الصورة بدت رؤوسها امام الصف المقدم منظومة بعضها بجانب بعض كحراشي الطائر حتى لا يستطيع احد الدنو منها . وكان من المشاة فرق اخرى مختلفة من الجنود ومسلحة بالرماح والسيوف والقروس وهي مثل الحربس الخاص

وكان جيش الفرس قد اجتمع في بر الاناضول فاشار عليه قائد يوناني كان فيه اسمه ممنون ان يرتد من وجه الاسكندر ويخرب البلاد في طريقه حتى اذا جاءها الاسكندر لم يجد فيها طعاماً لرجاله ولا علفاً لخيله فلم يعمل بمشورته لان سائر القواد كانوا يقارون منه فقالوا انه لا يليق بجيش الفرس ان يرتد بن لمام عدوه واجمعوا على ان يقيموا في انتظاره امام مخاضة غرانيكوس وهو نهر يصب في بحر مرمرا يستى الآن كُدْشاي لكي يوقفوا به حينما يحاول عبوره . فوضعوا فرسانهم على ضفة النهر ومشاتهم واكثرهم من مستزرقة اليونان على عدوة وراءه وكان الفرسان نحو عشرين الفاً والمشاة اقل منهم قليلاً ولما بلغ الاسكندر النهر ورآهم قد وضعوا فرسانهم امام مشاتهم استخف بهم لان هذا الوضع يخالف نظام الحروب وعزم ان يقطع النهر ويهاجمهم حالاً فتصدى له القائد بارمنيون وهو من اكبر قواده وقال له ان النهر عميق ولا نستطيع ان نعبره الا من مخاضة واحدة فاذا اخذت الجنود تعبره وصلت الى الضفة المقابلة فرقاً صغيرة فيسهل على العدو الايقاع بها واذا اوقع بطليعة جيشنا ارتبك الجيش كله واضطرب فنعود بالفشل . فقال الاسكندر عار علي ان اعبأ بهذا النهر بعد ان عبرت الدردنيل واذا توقفت عن عبوره تقوت قلوب الفرس وحسبوا انهم اكفاء لنا . قال ذلك وامر بارمنيون ان يذهب

الى ميسرة الجيش وسار هو الى ميمنته ورآهُ الفرس من الضفة الاخرى وعرفوهُ من لمعان اسلحته واحتفاء جنوده به فضاعفوا الفرسان في ميسرتهم ووقفوا ينتظرونهُ اما هو فارسل القائد استاس مع فرقة من الفرسان وفرقة من المشاة وامرهُ ان يعبر النهر عن يمينه حتى تتبعهُ ميسرة الفرس فيضعف قلبهم ثم نادى بجنوده وذكّرهم بفعالهم المجيدة وما ابدوهُ من البسالة والاقدام في وقائعهم السابقة ثم خاض النهر بجواده وتبعتهُ الجنود وسايرت في خطٍ منحرف مع مجرى النهر حتى اذا وصلت الى الضفة المقابلة يكون منها خط طويل

ولم تكد جنود الاسكندر تقترب من الضفة المقابلة حتى انهالت عليها سهام الفرس وحرابهم انهيال السيل لكنها لم تبالِ بذلك بل سارت رويدًا رويدًا الى ان بلغت البر والتقت بفرسان الفرس واشتبك القتال بين الفريقين ولم يكن مع الفرس رماح فتعذر عليهم الحطو من فرسان الاسكندر وهم بالرماح الطويلة . وبينما الفريقان في التحام واختلاط وصل الاسكندر بجرسهِ ووصلت وراءهُ المشاة فتكسّرت بفرسان الفرس فتكًا ذريعًا وانكسر رمح الاسكندر في يدهِ فالتفت ليأخذ رمحًا آخر من واحد من اركان حربهِ فرأى رمحهُ مكسورًا في يدهِ لكن دنا منهُ آخر واعطاهُ رمحهُ . ورأى مثردات صهر داريوس راكبًا في طليعة كوكبة من الفرسان فهجم عليهِ وطعنهُ طعنةً ألقتهُ صريعًا وللحال هجم واحد من الفرس على الاسكندر وضربهُ بالسيف على راسهِ فدرى جانبًا من خوذتهِ ولكنهُ لم يصل الى راسهِ فدار اليهِ الاسكندر وطعنهُ طعنة خرقت درعهُ وصدرهُ وألقتهُ قتيلاً واستلّ فارس آخر سيفهُ وكاد يضرب الاسكندر بهِ على راسهِ ورآهُ القائد كليتوس من قواد الفرسان فضرب الفارسي بسيفهِ فقطع ذراعهُ وانقذ الاسكندر من القتل الا ان الاسكندر قتل كليتوس هذا بعد ست سنوات كما سيجيء

واشتدّ القتال وظلت جنود الاسكندر تعبر النهر وتنجد الجنود التي تقدمتها والاسكندر يفرغ جهة جيشهِ ليضعف جيش الفرس من قلبهِ متدرّجًا انهُ اذا انقهقر القلب تبعتهُ الميمنة والميسرة فكان كما قدّر وانهزم فرسان الفرس كلهم شرّ هزيمة ولم يكن قد قتل منهم سوى الف فارس . وامر الاسكندر فرسانهُ ان لا يجدّوا في اثر المنهزمين بل ان يصعدوا الى مستردّة اليونان ويوقعوا بهم وكان هؤلاء الجنود في عدوة من الارض كما تقدم وقد اغفل الفرس امرهم إما جهلاً منهم بفنون الحرب او خوفًا من انهم يظاهرون الاسكندر عليهم . ولو وضعوهم امام فرسانهم في طليعة الجيش لاوقعوا بجنود الاسكندر حال عبورها النهر وتغيّر تاريخ الامم . واحاطت فرسان الاسكندر بميمنتهم وميسرتهم وقبلت عليهم فبالغ بالمشاة فدت عليهم

المذاهب واشتدت فيهم حتى لم يسلم منهم الاَّ من اختفى تحت اشلاء القتلى وأُسر منهم الفان

وقتل من عظماء الفرس في هذه الواقعة اريوبالس حفيد ارتكزركسس . وسبثريداتس مرزبان ليديا ومثروبوزانس والي كبدوكية ومثرداتس صهر داريوس واومارس قائد المسترزقة واتخر ارسيتس والي فريجية بعد الهزيمة لانهُ لم يعمل بمشورة القائد ين كما تقدم . وقتل من جنود الاسكندر ٨٥ من الفرسان وثلاثون من المشاة لا غير وهذا من الغرابة بمكان عظيم لان المشاة حاربوا مسترزقة اليونان بدًا ليد

ودفن الاسكندر قتلاهُ في اليوم التالي باحتفال عظيم وابقاهم في اصلحتهم واعفى اباءهم واولادهم من الضرائب والمكوس على اتراعها ليري بقية رجاله ان من يقتل منهم في ساحة الوغى يكرَّم اعظم اكرام ويعتنى باهله وذويه . واعتنى بالجرحى وكان يعودهم بنفسهِ ويسأل كلاً منهم عن حالهِ ويسمع منهُ ما يرويهِ عن نفسهِ ولا احبَّ الى الجندي من ان يقصَّ قصة جراحهِ . فطيَّب قلوبهم بما ابداهُ لهم من المشاة والبشاشة . وارسل الاسرى من المسترزقة الى مكدونية ليحرثوا الارض فيها وكان بعضهم من اثينا فارسل الاثينيون اليهِ يطلبون منهُ ان يعفو عنهم فلم يجب طلبهم الاَّ بعد ثلاث سنوات

وقسم الغنائم بين رجالهِ وبعث الى امهِ ببعض البسط الفارسية والاقداح الذهبية وبعث الى اثينا ثلثمئة ترس لتعلق في هيكلها (الاكروبوليس) ويكتب تحتها " تقدمة من الاسكندر ابن فيلبس واليونانيين ماعدا اهل اسبرطة من البرابرة سكان اسيا " فاعرب بذلك عن اكرامهِ لاثينا واليونانيين عمومًا اذ جعلهم شركاء لهُ وعن حسن السياسة التي لا يقلع ملك بدونها

وتحققت امنيتهُ التي تمناها وهي ان يكون قائدًا لليونان واحبهُ رجالهُ ووثقوا بهِ وقام في نفوسهم انهُ مختار من الآلهة لقيادة الجيوش ومؤيد بقوة الهية فلا يكون النصر الاَّ حليفًا لهُ . ومن لا يحب شابًّا في الثانية والعشرين من عمرهِ وطاقهُ الحيًّا قويَّ الذراع سديد الراي صبورًا على الشدائد عطوفًا على الاصدقاء كريمًا سخيًّا لا يعرف الاثرة ولا الخوف حصينًا عفيفًا لا يزن بريبة ولا يشارك شبان عصرهِ في شيء من المآثم محبًّا للعلم والعلماء ورجال الادب واهل الصناعات

وكان كبير القامة معتدل العضل ابيض الوجه اشم الانف اشقر الشعر غزيرهُ تقف غرتهُ فوق جبينهِ وتلتف خصل شعرهِ حول راسهِ حتى كانهُ راس الاسد وسنرسم صور بعض تماثيلهِ في الجزء التالي

وقع عن واقعة غرانيكوس امرٌ آخر غير ممكن حدوثهُ في قلب رجل وهو ان اسيا الصغرى كلها سقطت حين طورس صارت في قبضة يدهِ لانهُ لم يبقَ فيها من جيوش الفرس ما يعبأ بهِ

فولّى شابًّا مكدونيًّا اسمهُ كالاس على تريجيَّة وسار الى ولاية ليدية وقصد عاصمتها سرديس

وكانت من اغنى المدن واسمها فلاڤاه حاكمٌ فارسي على تسعة ميال من ابوابها واستأمن اليه فدخلها سنة ٣٣٤ وامّن اهاليها على دمائهم وموهم وردَّ اليها شرائعها القديمة ونظم حكومتها على

اسلوب جديد وهو انهُ ولّى عليها ثلاثة واحدًا لادارة الاحكام المدنية وواحدًا لجمع الاموال الاميرية واحدًا لقيادة الحامية وجمع الجنود . وجعل الثلاثة مستولين لهُ مباشرةً وجرى على ذلك في تنظيم سائر الولايات التي تغلَّب عليها بعدئذٍ . ولما تمَّ امر سرديس سار الى افسس وهي على ٦٥ ميلاً منها . والسكان في افسس وما جاورها من مدن الساحل من اصل يوناني وكانت افسس واسطة عقدهم وفيها هيكل ارطاميس الشهير وهي اغنى مدن اليونان في اميا واكبرها فيها من السكان نحو مئتين وخمسين الفًا . وكان غرض الاسكندر انقاذها من قبضة الفرس ففتحت لهُ ابوابها وقبلتهُ على الرحب والسعة فابطل شرائع الفرس منها ونظَّم حكومتها وامر ان الجزية التي كانت تعطى للفرس تعطى لهيكل ارطاميس. الاَّ ان العامَّة لم تكن مستعدة لهذا الانقلاب السريع فانتفضت على الخاصَّة حالاً واوقعت بعضهم ممَّن كان ضلعهُ مع الفرس حتى اضطرَّ ان يرد السكينة الى المدينة بالسلاح

واقتفت مغنيسيا وتراليس آثار افسس ولم يرَ العدوان الاَّ في ميليتوس وهي ثانية افسس في العظمة والمنعة . وكان قائد حاميتها قد كتب اليهِ في التسليم ثم بلغهُ ان اساطيل الفرس قادمة لنجدتهِ فعدل عن التسليم واقفل ابواب المدينة في وجه الاسكندر الاَّ ان اسطول المكدونيين سبق اسطول الفرس اليها وحصرها بحرًا وجاءها الاسكندر وحصرها برًّا . وكان في اسطولهِ ١٦٠ سفينة وفي كل سفينة مئتا رجل ١٧٠ منهم للتجديف وهم يجلسون في ثلاثة صفوف على الجانبين كل صف منها اوطأ من الذي فوقهُ واقرب منهُ الى محور السفينة فتقع المجاديف كلها في البحر معًا ولا يكون بعضها في طريق بعض فتندفع السفينة بقوة هؤلاء الرجال كأنها مدفوعة بقوة البخار وتصدم سفن العدو وتكسرها او تفرقها . ثم اقبل اسطول الفرس وفيهِ اربع مئة سفينة لكنهُ لم يستطع الدخول الى مرفإ المدينة لانهُ وجد اسطول المكدونيين فيهِ

وكان من رأي بارمنيون كبير قواد الاسكندر ان تنازل سفنهم سفن الفرس لان موقعها امنع من موقع سفن الفرس فلم يوافقهُ الاسكندر على ذلك لانهُ قال اذا نحن نشلنا في هذه الواقعة البحرية خسرنا كل ما كسبناهُ من الامم في وقائعنا البرية واستعزَّ خصومنا علينا هنا وفي بلاد اليونان ايضًا فامر ان تلزم سفنهُ الدفاع . ويقال ان الاسكندر وبارمنيون رأيا نسرًا جاثمًا على صخور سفن المكدونيين فقال بارمنيون ان هذا النسر يدلنا على ان الله الغلبة مع السفن فقال الاسكندر كلاَّ بل هو واقف على البر دلالة على ان الغلبة تكون في البر لا في البحر

وقبل ان شدَّد الاسكندر الحصار على ميليتوس خرج اليهِ واحد من وجهاء شعبها وقال لهُ ان الميليتيين يلزمون الحياد اذا تركتهم وشانهم ويفتحون مرافئهم لسفنك وسفن الفرس على حدٍّ سوى

وابراجهم لمن يدخلها من الفريقين . فاستاء الاسكندر من هذا الخطاب لانهُ كان يكره سياسة الوجهين واللسانين وقال لهُ انني اتيت لافعل ما اريد لا ما يريدهُ غيري . وامرهُ ان يرجع حالاً ويخبر اهل المدينة ليستعدوا للدفاع عن انفسهم في الصباح التالي لانهم اخلفوا وعدهم فاستحقوا العقاب

وكان فيلبس ابو الاسكندر قد اتقن آلات الحصار من الكباش والابراج والمناجيق والجلاهق والنفاطات فاستصحب الاسكندر معهُ نفراً من مهرة الصناع لعمل هذه الآلات فكان يصنع الكبش من سارية كبيرة طولها ١٨٠ قدماً ويضع في رأسها قطعة كبيرة من الحديد في شكل رأس الكبش لينطح بها الاسوار ويدكها ويركبها على ثمان عجلات كبيرة قطر العجلة منها ست اقدام ونصف وثقل الكبش كلهِ نحو الفي قنطار فيدفعهُ مئة رجل الى جانب السور ويضربونهُ بهِ حتى يخرقوهُ او يهدموهُ ولو كان ثخنهُ عشرين قدماً . والابراج كانت تصنع من الخشب طبقات كثيرة يقف فيها المقاتلة وتُدفع نحو الاسوار على عجلات ضخمة ويكون ارتفاع البرج منها مئة قدم الى مئة وخمسين قدماً وتبسط عليها الجلود او صفائح الحديد وقاية لها من سهام المحاصرين ونفاطاتهم . والمناجيق ترمى بها الحجارة الكبيرة كما ترمى القنابل الآن بالمدافع . والجلاهق اقواس كبيرة ترمى بها السهام الطويلة الغليظة . والنفاطات آلات لقذف النفط ونحوهِ من المواد الملتهبة

وقام في اليوم التالي وركب الكباش على الاسوار فتغرها ودخل جنودهُ المدينة وهرب منها ثلثمئة من المستزرقة ولجأوا الى جزيرة امامها فأمنهم على حياتهم اذا انضموا الى جيشهِ فانضموا اليهِ وعفا عمَّن نجا من السكان ثم قطع الماء عن اسطول الفرس فاضطر ان يقلع الى جزيرة ساموس

ورأى ان اساطيل الفرس لا تضرُّ بهِ اذا استطاع ان يستولي على الموانئ التي تلجأ اليها وان اسطولهُ لا ينفعهُ شيئاً بل يضعف قوتهُ لان المئة والستين سفينة تقتضي ثلاثين الف نوتي ونحو ١٦ الف جنيه كل شهر ففرقهُ تحقيقاً للنفقات لاسيما وانهُ ضرب جزية طفيفة على المدن التي فتحها واعفى بعضها من الجزية مطلقاً فلم يكن لهُ قبل بما يزيد نفقاتهِ على غير طائل

وكان الخريف قد انتصف ودنا الشتاء فاذن لبعض قوادهِ وجنودهِ ان يعودوا الى بلادهم ليقضوا فصل الشتاء فيها ثم يعودوا اليهِ في الربيع التالي بجنود جديدة واقام هو في اسيا الصغرى يدوخ مدنها التي لم تكن قد خضعت لهُ وينشر الامن في انحائها

ووَلَّى داريوس ممنون القائد اليوناني على اسيا الصغرى كلها وسلَّم اليهِ قيادة جيشها فاسترد بعض المدن التي خضعت للاسكندرية وسعى في انتقاض اليونانيين عليهِ في بلاد اليونان نفسها لكن وافتهُ المنية على تجهُّز فاراحت الاسكندر ومعهُ وضعف امر الفرس بعدهُ . ولما بلغ الاسكندر

خبر موته اطمأن باله وادار وجهه نحو المشرق وكان قد مضى الشتاء واقبل الربيع وجاءته التجدات من مكدونية فزحف بها ولاقى داريوس في واقعة اسوس الشهيرة كما سيجيء

الفلسفة الهندية

لحضرة الباحث الاديب صموئيل افندي يني الطرابلسي

ذهب جماعة من العلماء الى ان التمدن نشأ على ضفاف النيل وان الهند مهد المدنية والعمران ومهما كان مرجع هذا الرأي من الصدق فاننا نعلم ان الهند سادت في العصور الغابرة شوطاً بعيداً في المعارف وكان لها في العلوم التدح المعلّى ومن الفلسفة النصيب الاوفر الاّ ان اخبار ازدهارها العلمي لبثت زمناً طويلاً وراء حجب الخفاء لا نعلم من آثارها شيئاً الاّ ما نقلهُ الينا بضعة من المؤرخين الاقدمين كتقوطرخس وسترابون وارريانوس متصلاً اليهم عن رواة حملة الاسكندر المكدوني يوم اجتاح الهند وبلغ ضفاف الاندس

على ان ما نقلوهُ لنا عن عقائد الهند وآدابها وفلسفتها كان نزراً قليلاً لكنهم نقلوا حقيقة ما اتصلوا اليهِ غير مشوهة بالغلو وقد ايدت صدق رواياتهم ابحاث العلماء المتأخرين واكتشافاتهم

وظلّ ذلك النزر القليل من اخبار الهند العلمية كل المعروف عنها حتى نشأت الجمعية الاسيوية في كلكتا عام ١٧٨٥ م وعندئذٍ اقبل علماء الافرنج على درس لغة الهند والبحث في اديانها وفلسفتها حتى بلغوا في ذلك شأواً عظيماً ونشروا مما اطلعوا عليهِ المؤلفات الكثيرة ومن اشهر اولئك العلماء العلامة كولبروك فانهُ اقام في الهند السنين الطوال تعلّم في غضونها اللغة السنسكريتية ولازم جماعة من كبار البراهمة حتى وقف على قضايا كثيرة في الفلسفة الهندية نشرها في مجموعة الجمعية الاسيوية في لندن . ولما كانت مباحث اولئك القوم عن الفلسفة الهندية جديدة عندنا ولا تخلو من الفائدة واللذة معاً فاستبيح القراء الانباء اللاتيان على لمع من اخبارها على قدر ما يتيح لي المقام

اتفق علماء المشرقيات على ان في الهند ستة مذاهب فلسفية اصلية واليك اسماؤها وهي سانكيا . يوكا . نيايا . ويشيشكا . ميمانزا . فدانتا . وان كان يثقل على لساننا التلفظ بهذه الكلمات ونستوحش آذاننا اسماعها فان لها في بلادها صبغة من المجد تخلو كلما مرّت على افواههم ورنة من الشرف تطرب لها آذانهم فاحيك انها اثبت في الغرب لعهدنا هذا كل حفاوة وتجيل وانزلك على رأسي منزلة الضيف الكريم